مقدمـــة

فى عام ١٩٣٩ ـ عشية الحرب العالمية الثانية ـ بلغ تعداد جيش الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٥,٠٠٠ نسمة ولم تتعد ميزانيته السنوية ٥٠٠ مليون دولار وفى ذلك الوقت لم يكن لأمريكا حلفاء متورطون فى الحرب أو قوات معسكرة فى أى بلد أجنبى؛ إذ إن سياسة العزلة كانت الاتجاه السائد فى أمريكا. أما أمن أمريكا ـ وهو حجر الأساس فى سياستها الخارجية ـ فلم يكن مثار قلق الشعب الأمريكى. إن انتفاء مثل هذا القلق لم يرتبط بوجود حلفاء للولايات المتحدة أو بقواتها العسكرية، وإنما ارتبط ببعد المسافة التى تفصل بين الولايات المتحدة وأى عدو محتمل لها.

بعد مرور نصف قرن أصبحت القوات العسكرية النظاميـة الأمريكيـة ـ براً وجواً وبحراً ـ هائلة العدد وتعدت ميزانية وزارة الدفاع ٣٠٠ بليون دولار كما عقدت الولايات المتحدة معاهدات تحالف مع ٥٠ دولة، وأرسلت أكثر من مليون جندى وطيار وبحار؛ ليعسكروا فى أكثر من ١٠٠ دولة، وبلغت كفاءتها الهجومية حداً يمكنها من تدمير العالم عدة مرات. وبالإضافـة إلى ذلك استخدمت الولايات المتحدة القوة العسكرية للتدخل فى حرب الهند الصينية، وفى لبنان، وجمهورية الدومينكان، وجرينادا، وأمريكا الوسطى، والخليج الإيرانى، وساندت غزو كوبا، وقامت بإمداد حكومات صديقة عبر العالم بكميات ضخمة من الأسلحة؛ فضلاً عن الحروب الباهظة التكاليف التى خاضتها فى كوريا وڤيتنام.

وبالرغم من ضخامة الأموال التى أنفقتها الولايات المتحدة على التسليح، ومن بعد المناطق التى تمارس فيها نفوذها.. فقد ظل أمن أمريكا القومى معرضاً للخطر. ولقد

صاحبت هذه التغيرات السياسية المذهلة تغييرات في اتجاهات الشعب الأمريكي؛ فقبل الحرب العالمية الثانية.. كان معظم الشعب الأمريكي يؤمن بأن اهتمامات الشعوب متماثلة ومتقاربة بالطبيعة، كما كان يفترض أن جميع الشعوب متضامنة في التزاماتها نحو إقرار السلام، وأنه لا يمكن لأي شعب أو أمة أن تحقق مكاسب نتيجة للحرب.

إن المعنى الضمني لهذه المعتقدات هو أن السلام هو الحالة التي يجب أن تسود بين الدول، وأن الحرب إذ وقعت فإنها تكون بمثابة انحراف عن القاعدة؛ نتيجة تصرفات شريرة غير سوية أو رجال مضطربين عقلياً. إنه لما يدعو للتعجب أن الأمة التي ظهرت الى الوجود نتيجة انتصارها في الحرب والتي اتسعت حدودها عن طريق الحرب، وحققت ثورتها الصناعية، وأهدافها القومية بعد خوض حرب أهلية دامية، والتي فازت بإمبراطورية استعمارية عن طريق الحرب... يمكن أن تؤمن بأن الحروب لا تؤدي إلى مكاسب لأي طرف من الأطراف. بالرغم من كل ذلك.. فإن الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي آمنت بذلك.

إن التحليل الأمريكي لأسس العلاقات الدولية، أدى إلى صعوبة تبني الولايات المتحدة لرد فعل يتسم بالفعالية تجاه الأزمة العالمية في نهاية الثلاثينيات. لقد كان هدف الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا المحافظة على الوضع الراهن، دون اللجوء إلى الحرب؛ أي إنهم كانوا يبغون السلام . أما هدف ألمانيا وإيطاليا واليابان فقد كان تغيير الوضع الراهن دون اللجوء إلى الحرب؛ أي إنهم أيضاً كانوا يبغون السلام. لكن الاختلاف في رغبات الجانبين كان بيّناً واضحاً، واتضح أن افتراض الشعب الأمريكي أن العالم بأسره مهتم بالسلام، كان افتراضاً وهمياً.

ولقد تغيرت اتجاهات الشعب الأمريكي خلال الحرب العالمية الثانية، وفي الفترة اللاحقة لها. وبالرغم من أنه لم يتجه إلى استساغة الحرب.. إلا أنه تعلم أن يتقبلها. كما أن الشعب الأمريكي أدرك مدى حساسية وضع الولايات المتحدة، وأنها أصبحت عرضة للهجوم؛ مما أيد الاعتقاد الذي شاع بعد «بيرل هاربر»، والذي

أوضح «إذا لم نحاربهم هناك سنضطر إلى محاربتهم فى سان فرانسيسكو». وبالتالى كان لابد من الإسراع فى مواجهة الخطر الرابض عبر البحار. وبالرغم من أن هذا التحليل لم يحظ بقبول جميع الأمريكيين، إلا أن كثرة عدد مؤيديه أعطت قادة الحرب الباردة دفعة قوية نحو المغامرات المزمعة عبر البحار، دون أية اعتبارات للتكلفة.

إن التغيير التكنولوچى، خاصة فى مجال الأسلحة العسكرية أضاف قوة دافعة لسياسة التوسع الجديدة؛ فلأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية تعرضت للتهديد من الخارج، ذلك أن التقدم التكنولوچى الذى تمثل فى تطور السفن ذات السرعة الفائقة، وقاذفات القنابل ذات المدى الطويل والطائرات النفاثة، والأسلحة الذرية، والصواريخ عابرة القارات... كلها تضامنت لتصبح مصدر تهديد للأمن الطبيعى الذى تمتعت به الولايات المتحدة.

وفى نفس الوقت أصبحت أمريكا عرضة لتهديدات اقتصادية من الخارج؛ فقبل الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تتمتع بالاكتفاء الذاتى على المستوى اللائق بأى أمة عظيمة، خاصة فى المواد الأساسية، مثل مصادر الطاقة، والزراعة، وإنتاج الصلب.

إلا أن الاقتصاد الذى تزايد تعقده فى ظل الازدهار الاقتصادى الهائل الذى شهدته السنوات التالية للحرب نظراً لانخفاض أسعار الطاقة أدى إلى تزايد اعتماد أمريكا على المصادر الأجنبية.

إنه لمن سخرية القدر أنه على الرغم من أن القوة العسكرية الأمريكية فى نهاية الثمانينيات، فاقت ـ بمراحل ـ ما كانت عليه فى نهاية الثلاثينيات، إلا أن الأمن الأمريكى أصبح أقل قوة وصلابة.

لقد أصبحت الولايات المتحدة فى الثمانينيات أغنى بكثير مما كانت عليه فى فترة الكساد الاقتصادى، ولكنها أيضا أصبحت أكثر عرضة للابتزاز الاقتصادى.

لقد كانت نتيجة غير متوقعة، فبنهاية الحرب العالية الثانية أصبحت الولايات المتحدة فى القمة؛ إذ كانت الدولة الوحيدة فى العالم كله التى تمتعت باقتصاد

مزدهر، وبمصادر طبيعية ذات طاقة إنتاجية هائلة، وبفائض فى رؤوس الأموال. لقد احتلت القوات الأمريكية اليابان التى كانت القوة الاقتصادية المهمة الوحيدة فى المحيط الهادى كما زادت هيمنة النفوذ الأمريكى فى فرنسا وبريطانيا وألمانيا الغربية (المركز الاقتصادى لأوروبا)، وهكذا أصبح المحيط الهادى والبحر المتوسط بحيرات أمريكية، والأهم من كل هذا وذاك... احتكار الولايات المتحدة للقنبلة الذرية.

بالرغم من الوضع المتميز الذى تمتعت به أمريكا.. إلا أن القيادات الأمريكية انتابها الخوف فى صيف عام ١٩٤٥ وذلك لثلاثة أسباب، أولها: سياسى وهو احتمال ظهور هتلر آخر، وهو الدور الذى بدأ ستالين فعلاً فى تقمصه، والسبب الثانى تكنولوجى: وهو استحالة الاحتفاظ بسر القنبلة الذرية إلى الأبد؛ خاصةً وأن تطوير المانيا لأسلحة الصواريخ كان يشير إلى أن المدن الأمريكية ستكون هدفاً لها فى الحرب القادمة. أما السبب الثالث فكان اقتصادياً اذ إن إحلال السلام كان معناه العودة الى الكساد الاقتصادى.

إن من سبل تجنب الكساد الاقتصادى هو زيادة التجارة الخارجية، إلا أنه إذا لجأت الدول الأخرى الى تأميم صناعاتها الأساسية أو إغلاق أسواقها.. فلن تتمكن أمريكا من المنافسة فى الخارج.

اعتقد الشعب الأمريكى أن الأمل فى مواجهة هذا الخطر يكمن فى تطوير العالم بعد انتهاء الحرب بحيث تصبح المؤسسات الحرة والباب المفتوح فى التجارة القاعدة السائدة فى كل بلدان العالم، بدلاً من كونها الاستثناء. وافترض «ترومان» وبعض رجال الإدارة الأمريكية أنه من البديهى أن تعتبر المؤسسة الخاصة الحرة أساس المجتمع الديموقراطى الانفتاحى الحر.

وبالإضافة إلى ذلك، كانوا تواقين الى إنقاذ الديمقراطية فى الداخل، عن طريق الترويج لها فى الخارج. وحاز ذلك البرنامج نجاحاً كبيراً فى غرب أوروبا واليابان. وفى نفس الوقت ساعد استمرار اقتصاد الحرب داخل أمريكا (وهو تطور لم يكن متوقعاً على الإطلاق) على إبعاد شبح العودة إلى الكساد الاقتصادى.

وفى الواقع يرجع الازدهار الاقتصادى فى السنوات التالية للحرب ـ جزئياً ـ الى التسابق على التسلح.

يرجع سباق التسلح إلى شكوك كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى نوايا كـل منهما نحو الآخر، وهى شكوك لم تأت من فراغ، ذلك أن التنافس الاقتصادى والاختلافات الايدلوجية ساعدا على دفع هذا السباق، والأهم من ذلك ساهم التقدم العلمى والتكنولوجى فى فترة ما بعد الحرب فى دفع هذا السباق، وأصبحت الأسلحة النووية والقاذفات المـعدة لإطلاق تلك الأسلحة محور الحرب الباردة. إن الخوف من توصل الخصم إلى أى تقدم فى نظام هذا السلاح أو ذاك دفع كـل دولة الى بذل جهود خارقة فى سباق التسلح.

ولقد أدى هذا الوضع فى الولايات المتحدة الى نمو القوات المسلحة وموردیها، أو بعبارة أخرى أعطى التجمع العسكرى ـ الاقتصادى القيادات العسكرية ورجال الصناعة مصادر جديدة للقوة. وترتب على ذلك اتجاه الأمريكيين إلى إيجاد حلول عسكرية للمشاكل السياسية فلقد تكررت المواقف التى قبل فيها الرئيس استخدام القوة العسكرية، نظراً لسهولة توافرها. وبدى واضحاً أنه لايوجد شعب أو أمة يمكنها أن تقف فى مواجهة القوة العسكرية الأمريكية. واستمر ذلك الوضع حتى نهاية الستينيات عندما تعلم الأمريكيون الدرس القاسى: «إن القدرة على التدمير ليست هى القدرة على السيطرة».

فى عصر الحرب الباردة، اهتمت الولايات المتحدة (مثلها فى ذلك مثل روما القديمة) بكل مشاكل العالم. وبالرغم من أن خضوع ولو دولة واحدة للشيوعية لم يكن يمثل تهديداً للأمن الأمريكى، إلا أنه كان يتضمن معانى خفية تسببت فى إزعاج رجال الادارة فى واشنطن، الذين أصبحوا مهتمين بوقوع الأحداث ومضمونها الحقيقى. وكثر الحديث عن لعبة «الدومينو»؛ فعلى سبيل المثال كان نظام الحكم فى جمهورية الدومينكان مجال اهتمام شركة أو شركتين أمريكيتين فقط، ولم يكن

ما يحدث فى تلك الجزيرة الصغيرة ليمثل بأى شكل من الأشكال ـ تهديداً عسكريا للولايات المتحدة أو لأمنها الاقتصادى، إلا أن وزارة الخارجية والبيت الأبيض، والمخابرات المركزية (C. I. A.) كانوا متيقنين أن فوز الشيوعيين فى جمهورية الدومنيكان يعنى سرعة فوزهم فى مكان آخر. وفى أوائل الستينيات.. دافع بعض رجال الإدارة الأمريكية ذوى الأهمية عن ضرورة حرب جنوب فيتنام للدفاع عن الولايات المتحدة مع أن الاتجاه السائد فى ذلك الوقت كان [إننا يجب أن نثبت أن حروب التحرير القومية لا تجدى] وهو اتجاه غريب لأبناء الثورة الأمريكية.

إن مبدأ كون ما يحدُث فى أى مكان فى العالم يمس الولايات المتحدة لهو اتجاه مختلف اختلافاً جذرياً عن وجهة النظر الأمريكية فى عام ١٩٣٩. وتكمن أحد أسباب هذا الاختلاف فى النمو الهائل فى القوات المسلحة الأمريكية عبر البحار، ففى نهاية الحرب تحركت القوات المسلحة الأمريكية لملء الفراغ الذى نتج عن هذه الحرب، وبمجرد تمركز القوات الأمريكية فى أرض أجنبية.. أُضيفت تلك الأرض إلى قائمة المصالح الحيوية للولايات المتحدة.

إن ارتقاء أمريكا الى العالمية لم يكن عفوياً على الإطلاق، كما لم يكن مجرد رد فعل للتحدى الشيوعى، أو تلبية لاحتياجات اقتصادية. وهناك تعبير طالما تكرر ترديده خلال الحرب العالمية الثانية، ألا وهو «لقد بلغت أمريكا سن الرشد» لقد تملك الأمريكيين شعور بالقوة والعظمة؛ فلقد أنقذوا العالم من هتلر، والآن سوف ينقذون العالم من (ستالين)، وفى إطار هذه العملية سوف تنتشر السلطة والسيطرة الأمريكية.

خلال الحرب العالمية الثانية.. عبر «هنرى لوك» ـ من مجلة «لايف» ـ أحسن تعبير عن رأى معظم القادة السياسيين ورجال الأعمال الأمريكيين وعامة الشعب، عندما قال «إن القرن العشرين سيكون القرن الأمريكى» فلقد أخذ الساسة يبحثون عن مناطق يمكن نشر النفوذ الأمريكى، بها بينما راح رجال الأعمال يبحثون عن أسواق مربحة وعن مصادر جديدة للمواد الخام الرخيصة. أما العسكريون فقد تطلعوا لبناء

قواعد عبر البحار. ووجد الجميع ضالته المنشودة عندما قامت أمريكا بتدشين برنامج للانتشار دون قيود أو حدود.

وشن الأمريكيون حملة عنيفة تنادى بالحرية التى لن تكتمل إلا عندما تسود العالم كـله. لقد شكك بعض المحافظين مثل السيناتور «روبرت تافت» فى امكانية تحقيق هذا الهدف، بينما ذهب «هنرى والاس» ـ أحد المنتمين إلى العهد الجديد* ـ إلى أنه لا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا بإجراء إصلاحات داخلية. غير أن الغالبية العظمى من السياسيين وجميع رجال الأعمال والجنود تقريباً قاموا بالتوقيع على المشاركة فى شن الحملة.

وبينما نشط رجال الأعمال والجنود والساسة الأمريكيون فى جنوب ووسط أمريكا وأوروبا وجنوب شرق آسيا لم يتوقف زعماء واشنطن ليتساءلوا حول حدود هذا النفوذ. إن المسئولين الأمريكيين ورجال الأعمال والبنتاجون تقبلوا التوسعات العفوية وزيادة عدد المناطق الداخلة فى دائرة المصالح الحيوية الأمريكية، على أنه أمر طبيعى وعادى للغاية؛ ولم يشعر أحد المسئولين أن أمريكا أفرطت فى توسعها، كما لم يستطع أى أحد أن يقترح سياسة بديلة لسياسة العداء المستحكم تجاه الشيوعية.

غير أنه فى النهاية فرض الواقع العسكرى وضع حدود للانتشار الأمريكى فلم يحدث، بعد سنة ١٩٤٥، أن تمكنت الولايات المتحدة من تحطيم روسيا أو حلفائها دون تعريض أمريكا ذاتها لمخاطر غير مقبولة بالمرة، كما لم يحدث أن كانت الولايات المتحدة قادرة على تأسيس إمبراطورية استعمارية؛ لذلك لجأت الحملة العنيفة ضد الشيوعية الى سياسة الاحتواء بدلاً من الهجوم. ولكن تلك السياسة، بما تعنيه ضمناً من تقبل انقسام العالم بصفة دائمة، أدت إلى انتشار الإحساس بالإحباط.

* العهد الجديد: برنامج تشريعى وإدارى وضعه الرئيس فرانكلين روزفلت؛ بهدف الإنعاش الاقتصادى والإصلاح الاجتماعى خلال العقد الرابع من هذا القرن.

ثم أدت القيود التى فرضها الشعب الأمريكى على نفسه فى إطار استخدام القوة فى كوريا وڤيتنام وغيرها إلى تعميق تلك الإحباطات. ومع ذلك، فإنه نادراً ما طرأ أى تفكير جدى فى إيجاد بديل لسياسة احتواء الشيوعية، إلى أن انهارت هذه السياسة تماماً فى ڤيتنام وكمبوديا.

ترتب على إخفاق سياسة الاحتواء فى الهند الصينية تحول أساسى آخر فى الدور العالمى للولايات المتحدة، ولم يتضمن هذا التحول عودة لسياسة العزلة على نمط ١٩٣٩، حيث كان من المستحيل أن تدور عقارب الساعة للخلف، وإنما ساد إدراك عام بأنه لم يتبق أمام الولايات المتحدة الكثير الذى يمكن تحقيقه بقوة السلاح. ويرجع ذلك إلى قيدين متلازمين، أولهما: الخوف من استفزاز روسيا بحيث تلجأ الى استخدام الأسلحة النووية، وثانيهما: نفور أمريكا من استخدام الحد الأقصى لقوتها العسكرية.

لقد دلل ريجان على إدراكه لتلك القيود فى بولندا وأفغانستان وحتى فى أمريكا الوسطى، وأخيراً فى الانسحاب من لبنان. وبعد ڤيتنام طرأ تغيير آخر فى محور اهتمامات السياسة الخارجية الأمريكية، خاصة بعد ١٩٧٣، عندما أدت مقاطعة البترول العربى الى إدراك الأمريكيين المفاجئ لأهمية الشرق الأوسط بالنسبة اليهم.

إن رحلة نيكسون إلى الصين عام ١٩٧٢ وبزوغ أفريقيا السوداء واكتشاف مواد خام غزيرة فى كل من أفريقيا وجنوب أمريكا كانت عوامل ساعدت على تحول اهتمام أمريكا من شمال العالم الى جنوبه. ولقد أبرز هذا التحول تغيراً فى الاقتصاد الأمريكى، من اقتصاد يتسم بالاكتفاء الذاتى إلى الاعتماد المتزايد على الآخرين للحصول على المواد الرئيسية. وبالتالى فإنه بنهاية الثمانينيات كانت الولايات المتحدة أغنى وأقوى، وأكثر عرضة للخطر، من أى فترة سابقة فى تاريخها.

«لقد عدت وشاهدت تحت الشمس أن السباق لا يفوز به خفيف الحركة، وأن المعركة لا ينتصر فيها القوى، وأن القوت لا يكون من نصيب الحكيم وأن الثروات لاتكون من نصيب الأذكياء، ولكن ما يتاح لهم جميعاً هو الوقت والفرصة»

[**إسلسياستس**]

«نحن على استعداد لمساعدة الناس الذين يؤمنون بالأسلوب الذى نمارسه فى حياتنا؛ ولكن ليستمروا فى الحياة بالأسلوب الذى يريدونه»

[**دين أتشيسون**]